الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة: الليتورجيا التحضيرية للقداس الإلهي

الأربعاء 20 ديسمبر/كانون الأول 2017

قاعة بولس السادس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

أودّ اليوم أن أدخل في عمق القدّاس الإلهيّ. يتكوّن القدّاس من قسمين هما ليتورجيّا الكلمة وليتورجيّا الشكر، وهما مرتبطتان ببعضهما لدرجة تشكيل عمل عبادةٍ واحد (را. *المجمع المقدس*، 56؛ *الترتيب العام لكتاب القداس اللاتيني الروماني*، 28). يبدأ القدّاس بطقسٍ تحضيريّ، ويُختتم بطقوسٍ أخرى؛ وهو بالتالي بُنيَة واحدة ولا يمكن فصلها، ولكن، ومن أجل فهمٍ أفضل، سوف أحاول أن أفسّر مراحله المختلفة، والتي كلّ منها يستطيع أن يلمس ويُشرك بُعدًا من أبعاد إنسانيّتنا. من الضروريّ معرفة هذه العلامات المقدّسة كي نحيا القدّاس الإلهي بالملء ونتذوّق كلّ جماله.

عندما يجتمع الشعب، يُستَهلّ الاحتفال بطقوس الافتتاح، ومنها المَدخل (دخول المحتفلون أو المحتفل) والتحيّة-"الربُّ معكم"، "السلام لجميعكم"-، وفعل التوبة –"أعترف"، حيث نطلب مغفرة خطايانا-، والكيريالیسون، ونشيد المجد، وصلاة الجماعة: تُسمّى بصلاة الجماعة لأنها تجمع نوايا جميع الشعوب وترفعها إلى السماء بمثابة صلاة. الهدف منها –هدف هذه الطقوس التحضيرية- هو أن "يكوّن المؤمنون المجتمعون معًا، جماعةً واحدة، وأن يستعدّوا لسماع كلمة الله بإيمان، ويكونون أهلاً للاحتفال بالقدّاس الإلهيّ" (*الترتيب العام لكتاب القداس اللاتيني الروماني*، 46). ليست بعادة جيّدة أن ننظر إلى الساعة ونقول: "الوقت الآن مناسب، سوف أصل للقداس بعد العظة، وبهذا أتممّ الواجب". فالقدّاس يبدأ بعلامة الصليب، بهذه الطقوس التحضيرية، لأننا بها نبدأ في عبادة الله كجماعة. ولهذا فمن المهمّ ألاّ نصل في وقت متأخّر، بل من الأفضل في وقت مبكر، كي نعدّ القلب لهذه الطقوس، ولهذا الاحتفال.

وفيما يُرتّل نشيدُ الدخول، يتقدّم الكاهن بموكبٍ مع الخدّام الآخرين نحو قدس الأقداس، ويلقي التحيّة فيه على المذبح بانحناء، وكعلامة تكريم، يقبّله، وحين يكون هناك بخور، يبخرّه. لماذا؟ لأن المذبح يرمز للمسيح: هو صورة المسيح. فنحن حين ننظر إلى المذبح، ننظر بالتحديد إلى حيث هو المسيح. المذبح هو المسيح. هذه الأفعال الطقسية التي قد تمرّ دون أن يلاحظها أحد، هي مهمّة للغاية، لأنها تعبّر منذ البداية عن أن القدّاس الإلهي هو لقاء محبّة مع المسيح، الذي "إذ قدّم جسده على صليب الجلجلة [...] كان هو الكاهن والمذبح، وكان حمل المحرقة" (*مقدّمة الفصح* 5). المذبح في الواقع، كرمز للمسيح، "هو محور الشكران الذي يُرفع في الافخارستيا" (*الترتيب العام لكتاب القداس اللاتيني الروماني*، 296)، وكلّ الجماعة حول المذبح، والذي هو المسيح؛ لا كي ننظر إلى بعضنا إلى بعض، إنما إلى المسيح، لأن المسيح هو محور الجماعة، وهو ليس بعيدًا عنها.

ثمّ هناك علامة الصليب. فالكاهن الذي يترأس الاحتفال يرسم علامة الصليب على ذاته كما وأيضًا جميع أعضاء الجماعة، مدركين أن العمل الليتورجي يتمّ "باسم الآب والابن والروح القدس". وهنا أنتقل إلى موضوع صغير آخر. هل رأيتم كيف يرسم الصغار إشارة الصليب؟ لا يعرفون ماذا يصنعون: فهم يرسمون أحيانا إشارات ليست إشارة الصليب. من فضلكم: أيها الآباء والأمّهات والأجداد، علّموا الأطفال، منذ البدء –منذ الصغر- كيف يرسمون جيّدًا إشارة الصليب. واشرحوا لهم أن إشارة الصليب هي حماية لهم. والقدّاس يبدأ بإشارة الصليب. الصلاة بأسرها تتحرّك، إن جاز القول، في دائرة الثالوث الأقدس –"باسم الآب والابن والروح القدس"-، والتي هي دائرة شركة لامتناهية؛ فأصلها وهدفها هو محبّة الله الواحد والثالوث، الذي ظهر ووهب ذاته لنا في صليب المسيح. في الواقع، إن سرّ المسيح الفصحي هو هبة الثالوث، والافخارستيا تنبع دومًا من قلبه المجروح. وبالتالي، عندما نرسم إشارة الصليب على ذاتنا، نحن لا نتذكر معموديّتنا وحسب، لكننا نؤكّد أن الصلاة الليتورجيّة هي اللقاء بالله في يسوع المسيح، الذي تجسّد من أجلنا، ومات على الصليب وقام من بين الأموات ممجّدًا.

ثمّ يلقي الكاهن التحيّة الليتورجيّة قائلا: "الربُّ معكم" أو تحيّة مماثلة –هناك الكثير منها-؛ وتجيب الجماعة: "ومع روحك أيضًا" –إننا في حوار-. نحن في بداية القدّاس، وعلينا أن نفكّر بمعنى كلّ هذه الأفعال والكلمات. إننا ندخل في "سيمفونية"، يرنّ فيها صدى نغمات أصواتٍ مختلفة، تتضمّن أيضًا أوقاتًا من الصمت، بهدف خلق تناغم بين جميع المشتركين، أي بهدف أن ندرك بأن روحًا واحدًا يحرّكنا، وللغاية نفسها. في الواقع، "إن تحيّة الكاهن وجواب الجماعة يظهران سرّ الكنيسة المجتمعة" (*الترتيب العام لكتاب القداس اللاتيني الروماني*، 50). ويتمّ التعبير هكذا عن الإيمان المشترك والرغبة المتبادلة في أن نكون مع الربّ وأن نعيش الوحدة مع الجماعة بأسرها.

وما ينشأ إنما هو سيمفونيةُ تعبدية تقدّم على الفور لحظةً مؤثّرةً للغاية، لأن الذي يترأس الاحتفال يدعو الجميع إلى الاعتراف بخطاياهم. إننا كلّنا خطأة. لا أدري ربما البعض منكم ليس بخاطئ... إن كان أحد منكم بلا خطيئة فليرفع يده، من فضلكم، فنرى جميعنا. ليس هناك من أيدٍ رُفِعَت، حسنًا: إيمانكم جيّد! كلّنا خطأة؛ ولذا فإننا، في بداية القدّاس، نطلب المغفرة. إنه *فعل التوبة*. وهي ليست مسألة التفكير بالخطايا التي اقترفناها وحسب، إنما أكثر بكثير: إنها دعوة إلى الاعتراف بأننا خطأة، أمام الله والجماعة والإخوة، بوداعة وصدق، مثل العشّار في الهيكل. فإن كانت الإفخارستيا تجعل السرّ الفصحيّ حاضرًا بالفعل، أي عبور المسيح من الموت إلى الحياة، فإن أوّل عملٍ علينا القيام به بالتالي هو الاعتراف بحالات موتنا كي نقدر أن نقوم معه إلى حياة جديدة. وهذا يجعلنا نفهم كم هو مهمّ فعل التوبة. لذا فسوف نستأنف الموضوع في التعليم المقبل.

نتقدّم خطوة خطوة في شرح القداس. لكنّي أوصيكم: علّموا الأطفال كيف يرسموا جيّدًا إشارة الصليب، من فضلكم!

* * * * * *

الكتاب المقدس:

<u>قراءة من سِفر أعمال الرسل (2، 42 - 48)</u>

[في ذاك الوقت تلاميذ الرب] "كَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا وَكَانَعِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا. وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ".

كَلام الرَّبِّ

* * * * * *

Speaker:

في إطار تعاليمه حول القداس الالهي، شرح قداسة البابا كون القداس يتكون من قسمين: طقس الكلمة وطقس الشكر، وتوقف قداسته اليوم عند الطقس التحضيري للاحتفال بالذبيحة الإلهية، والعلامات التي يتضمنها، مؤكدا أهمية فهم هذه الحركات الطقسية كيما نحيا القداس الإلهي بالملء ونتذوق جماله. إن هدف هذه الأفعال الطقسية هي توحيد الجماعة وجعلها أهلا للاحتفال، لأنها تعبر عن كون القداس لقاء محبة بالمسيح، الذي هو الكاهن والمذبح وحمل المحرقة. وأشار البابا لعلامة الصليب الذي يرسمها الكاهن والمؤمنون على أنفسهم في البداية والتي تشير إلى أن الصلاة الليتورجية تتم "باسم الآب والابن والروح القدس"، أي في حضن الثالوث، لأنها لقاء مع الله الآب، في يسوع، بقوة الروح القدس. وشرح البابا تحية الكاهن للشعب والإجابة عليها (السلام لجميعكم ولروحك أيضا) والتي تعبر عن سر الكنيسة المجتمعة، وعن الإيمان المشترك والرغبة المتبادلة في عيش الوحدة. وأنهى البابا تعليمه موضحا أن فعل التوبة الذي يلي هذه التحية هو أكثر من مجرد دعوة للتفكير بالخطايا التي اقترفناها، إنما يهدف لحث المؤمنين على الاعتراف، أمام الله والإخوة، بوداعة وصدق، بكوننا أمواتا في الخطيئة كي نستطيع أن نقوم مع المسيح إلى الحياة الجديدة.

* * * * * *

Santo Padre:

Saluto cordialmentei pellegrini di linguaaraba,in particolarequelli provenienti dall'Iraq, dall'Egitto e dal Medio Oriente. San Tommaso d'Aquino insegnò che nella sacra liturgia è necessario "*servirsi di cose materiali come di segni, mediante i quali l'anima umana venga eccitata alle azioni spirituali che la uniscono a Dio*" (S.Th. IIa IIae q. 81 a. 7). Impegnatevi nell'apprendere il significato di ogni azione liturgica per vivere pianamente ogni celebrazione eucaristica e riempirvi così dei suoi frutti divini. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga dal maligno!!

* * * * * *

Speaker:

أرحب بمودة بالحجاج الناطقين باللغة العربية، وخاصة بالقادمين من العراق ومن مصر ومن الشرق الأوسط. علم القديس توما الأكويني أنه من الضروري في الليتورجيا المقدسة "الاستفادة من الأشياء المادية كعلامات من خلالها تتحمس النفس البشرية للقيام بأعمال روحية توحدها مع الله" (S.Th. IIa IIae q. 81 a. 7). اهتموا إذا بتعلم معنى كل عمل طقسي لتعيشوا بالملء كل احتفال إفخارستي، ولتمتلئوا هكذا من ثماره الإلهية. ليبارككم الرب جميعا ويحرسكم من الشرير!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2017

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana